تواصل (المدى) نشر هذا الكتاب الذي يقدم صورة عن ذكريات وانطباعات وآراء بول بريمر حول فترة عمله في العراق وتهدف (المدى) عبر ترجمتها ونشرها الكتاب إلى إتاحة الفرصة لقرائها للاطلاع ، كما تتيح المجال للباحثين والمحللين وسواهم من المعنيين لمراجعة مادة الكتاب فكرياً ونقدياً.. وبهذا تؤكد (المدى) ان جميع الآراء والمعلومات التي يقدمها بريمر هنا هي تعبير عن وجهة نظره الشخصية التي لا تلتقي مع وجهة نظر (المدى) التي واكبت فترة حكم بريمر وما بعدها بالنقد الصريح المعروف عن الجريدة وعن سياستها الواضحة في هذا المجال.

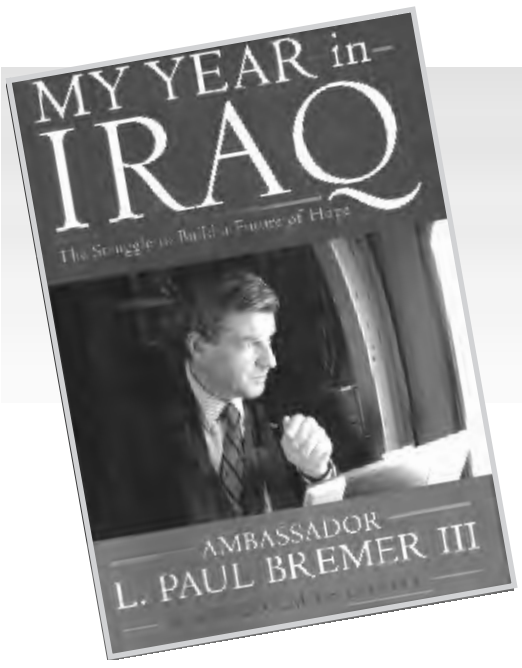

كتاب بول بريمر الصادر حديثاً حول تجربة عمله في العراق

سنتي في العراق

الصراع لبناء مستقبل من أمل

تأليف/ بول بريمر
ترجمة /د. عابد اسماعيل

(الحلقة الرابعة والاربعون)

كان باول يصغي بحيادية. وكانت ردة فعله الوحيدة هي ،"حسنٌ ، يا جِري ، عليك أن تطرح ما تشعر به للرئيس ، ولكن" ...

ثمّ سألني ما أنا فاعلٌ بشأن مجلس الحكم. وذكّرني أنه خلال زيارته في أيلول ، خرج بانطباع بأنهم "ليسوا جاهزين تماماً للاضطلاع بمسؤولياتهم."

"أنت محق في هذا ،" أجبت. واستعرضت معه مفهوم "الصفقة الكبرى."

"كان يشكّ تماماً بإمكانية قيام مجلس الحكم بعمله. "هل وضعتم خطة بديلة في حوزتكم؟"

قلتُ إننا نظرنا في مجموعة من الأفكار، منها منح الوزراء صلاحيات أكبر. "أصبتُ أعضاء مجلس الحكم بالصدمة حين أعلنت عن نيتي عقد اجتماعات أسبوعية للحكومة. ربما سوف يجعلهم هذا يتحركون."

في صباح الإثنين، ٢٧ تشرين أول، اجتمعنا، أنا ووزير الدفاع رامسفيلد، والجنرال ديك مايرز، والجنرال أبي زيد، في البيت الأبيض مع الرئيس وكوندي رايس وآندي كارد.

وافتتح الرئيس الجلسة بسؤالي عن آخر المستجدات على الصعيد السياسي. وشرحتُ بالتفصيل المشاكل التي نواجهها مع مجلس الحكم، لكنّني نوهتُ بأن مؤتمر مدريد كان ناجحاً. "معظم العراقيين يدعمون رؤيتك عن عراق ديموقراطي، يعيش بسلام." قلتُ له.

واعترف أبي زيد أن الهجمات الأخيرة على قواتنا أظهرت "الطرائق المعقّدة، المطوّرة حديثاً" التي يستخدمها المتمردون. واتفقتُ، أنا وهو، على ضرورة إيجاد سبل لجعل السنة منخرطين في العملية السياسية. لكني لفت النظر إلى أنهم لا يملكون منظمات سياسية أو زعماء معترف بهم على نطاق واسع، لأنّ صدام قام إما بقتلهم أو نفيهم. فصلتُ المشاكل التي تواجه الحكومة العراقية.

ناقشنا طرق تقوية قوات الأمن العراقية. واقترح أبي زيد إشراك ضباط أكفّاء من جيش صدام.

"ثمة مخاطر تكمن في هذا،" قلت. "علينا أن نمشي قدماً بحذرٍ شديد بحيث لا نخلق انطباعاً بأننا نرمم النظام القديم."

"حسنٌ، شيء واحد جلي وواضح،" قال الرئيس بحزم. "سوف نبقى على الخط ذاته في العراق. لن نُظهر ضعفاً جراء تلك الهجمات الجديدة. ولن تخور عزيمتنا الآن."

بعد ساعات لاحقة، عقدتُ اجتماعاً ثالثاً، طويلاً في البنتاغون، بدا أنه لن ينتهي، مع كبار ضباط وموظفي رامسفيلد المدنيين، الذين يرتدون بزاتهم الرسمية. مرة ثانية، كان الموضوع متعلقاً "بخيار ولفويتز-فيث" والذي ناقشته أنا وبول في البنتاغون في ٢٢ أيلول.

وكان اقتراحهما يقضي بأن يقوم مجلس الحكم ببساطة بتعيين "هيئة تشريعية انتقالية،" وبالتالي نسلم السيادة للعراقيين، في ٩ نيسان، الذكرى الأولى لسقوط بغداد.

تذكّرتُ تحذير كلاي قبل الذهاب إلى واشنطن للدفاع عن ميزانية الدعم الإضافي. إنه الفيلم الرديء عينه، وليس له نهاية سعيدة.

"ما رأيك، يا جِري؟" سأل رامسفيلد.

"السيد الوزير،" بدأت، "لا أعتقد أنه عمل مسؤول تسليم السيادة إلى هيئة عراقية، غير منتخبة، مع غياب الدستور. لن تكون هناك شفافية في الكيان الذي سلمناه السيادة. ونحن نغامر بدفع العراق إلى الفوضى أو حرب أهلية، مع عدم وجود دستور يصوغ البنية السياسية للعراق، ويحافظ على الحقوق الفردية، وحقوق الأقليات. لا أستطيع أن أساند نتيجة كهذه."

وعبرتُ عن شكوكي في أن تكون هيئة يعينها مجلس الحكم أكثر شرعيةً منه. "كما أنني لا أعلم ما هي صلاحيات الهيئة التشريعية." لم يكن أحدٌ يملك جواباً على هذا السؤال.

ثمّ قال رامسفيلد، "أي شيء تقترحه سنأخذه بعين الاعتبار."

"ولكن بما أنني مقتنع بأنها فكرة سيئة،" قلتُ، "لا أملك بدوري جواباً."

"حسنٌ،" قال رامسفيلد متحمّساً، "هذه هي وظيفتك المنزلية."

خلال اجتماع عقده مدراء مجلس الأمن القومي في الصباح التالي، في البيت الأبيض، راجعنا خيارين سياسيين آخرين. كان خيار سلطة التحالف المؤقتة هو الالتزام بخطة تحويل السيادة لحكومة عراقية تُنتخب على أسس الدستور. واقترحنا جدولاً متسارعاً يسمح بإنجاز ذلك في وقت لا يتعدّى سنة ٢٠٠٤، لكن البنتاغون كان يدافع عن فكرة تنازل مبكر للسلطة إلى حكومة عراقية، مجادلاً أن هذا سوف يزيل وشم "المحتل" عن قوات التحالف.

لكن أبي زيد وأنا قلنا إنه لا يوجد عراقي واحد، في التمرد أو غيره، يمكن أن ينخدع بهذه المسميات. سوف يبقى لنا المزيد من القوات في البلاد، والتي ستبدو لمعظم العراقيين كقوات "احتلال"، بغض النظر عن التسمية التي نخترعها.

وقدم أبي زيد خطط القيادة العسكرية بشأن تسريع تجنيد قوات الأمن العراقية، والتي حرضت نائب الرئيس تشيني للسؤال عن جدوى هذا الإسراع، وفيما إذا كان سيحول دون وقوع هجمات على قواتنا، وعلى العراقيين. لم يكن يوجد جواب جيد لسؤال كهذا لأنه وضع إصبعه على الفرضية المركزية.

خلال الاجتماع، انتابني شعور بأنّ وزير الدفاع اعتبرني الشخص الغريب الوحيد الذي يسبح عكس التيار. وأفترض أنني كنت حقاً هكذا.

أمسك آندي كارد بذراعي حين غادرنا قاعة الاجتماع في البيت الأبيض. "هل تسمح بدقيقة، يا جِري؟ أرغب بحديث سريع معك." صعدنا طابقاً واحداً إلى الأعلى إلى مكتب رئيس المستشارين. أغلق كارد الباب وراءنا.

"أريد أن أساعدك بأية طريقة كانت،" قال. "لكن عليك أن تكون صريحاً تماماً مع الرئيس حول آرائك. لدي انطباع بأن الناس في واشنطن لايفهمونك جيداً."

كنت أدرك ما الذي يعنيه: حين تفشل السياسة، يكون من السهل على البيروقراطيين أن يجدوا أكباش فداء.

حسنٌ، إننا لن نفشل. قلتُ في نفسي.

"لا تقلق. سأكون صريحاً بالكامل مع الرئيس. أنا كنتُ دائماً ألتزم الصراحة." وشرحتُ بأنني أشعر أنّ القادة العسكريين قلقون جداً حيال انتقال القوات الدوري الذي سيبدأ في الربيع القادم، وهذا ما يترك أثراً على وجهة تفكيرهم. "وبصراحة، إن فكرة تسليم السيادة بشكل مبكر ستجعل رؤيا الرئيس لمستقبل العراق صعبة التحقيق للغاية، إن لم تكن مستحيلة."

اعترفتُ أن هذا الخيار يمكن أن يمنح الرئيس بعض التقدم في الحملة الانتخابية للعام ٢٠٠٤، ولكنني أضفتُ بأنني أظنّ أنّ أهدافه تتجاوز هذا الأمر. "علينا أن نقوم بما هو لصالح العراق على مدى الخمس أو العشر أو العشرين سنة القادمة. مع أنني أدرك أنّ فعل الشيء الصحيح تجاه العراق يمكن أن يجعل حياة الرئيس في العام المقبل أكثر صعوبة. بل يمكن أن تكلفه الانتخابات نفسها. ولكن بصراحة، وكما أرى الأمور من جانبي، إن المنظور الوحيد الملائم هي أن تفعل الشيء الصحيح تجاه التاريخ."

قال كارد إنه يوافقني الرأي، وتساءل إن كنت أرغب باجتماع خاص مع الرئيس. قلت إن هذا سيكون غريباً، إذا أخذنا بعين الاعتبار أن معلّمي المباشر، رامسفيلد، لا يوافقني الرأي. ربما ستكون المكالمة الهاتفية أفضل، اقترح كارد.

قبل مغادرتي مكتب آندي، أخبرتُه أنني أود أن أختم رحلتي في العراق في أيار المقبل بعد إكمالي سنة هناك. "ستكون تلك أطول السنوات في حياتي."

الخطوة التالية كانت زيارة إلى مكتب رايس بناء على طلبها.

"جري،" قلت، "أنا أشاركك الشعور بالقلق حيال موقف العسكريين المتشنج. لكن علينا المضي قدماً في العملية السياسية، أيضاً." قالت لي إنها ما تزال حائرة بين الخيارين، وسوف تقترح على الرئيس أن لا يختار واحدة منها في اليوم التالي.

"حسنٌ،" قلتُ محتجاً، "لاشكّ أنني أريد شيئاً يرشدني."

اتفقنا على أن تقوم مجموعة استقرار العراق في مجلس الأمن القومي بالتعاون مع فريق الحكم في سلطة التحالف المؤقتة، لنرى إذا كان بالإمكان الخروج بخطة تجمع بين الخيارين.

في اليوم التالي، ترأس الرئيس بوش الاجتماع الكامل لمجلس الأمن القومي. بدأ أولاً أبي زيد بإطلاع الحضور على مستجدات الوضع العسكري، وعلى خططنا في الإسراع لتدريب قوات أمن عراقية. وأكد على أهمية إشراك السنة في العملية السياسية، وقال إن أمامنا نافذة، وفرصة للقيام بذلك خلال مدة الثلاثة أشهر القادمة. ركز الرئيس على هذه النقطة وتساءل فيما إذا كان للسنة رؤيا مختلفة للعراق عن باقي العراقيين. "أليس لديهم مصلحة في العيش بسلام كالآخرين؟" ما الذي سيفعلونه بالضبط بعد انقضاء هذه الأشهر الثلاثة؟ هل سيكون للسنة وجهة نظر مختلفة للعراق عندئذ؟

أجاب رامسفيلد وأبي زيد بأن ثمة مخاطر كامنة، وأن مركز الثقل السني يمكن أن يفلت من بين أيدينا.

وبناء على طلب رامسفيلد، حددتُ الخيارين للمضي قدماً- خيار البنتاغون وخياري أنا. أشار باول إلى أن المشكلة الحقيقية في العراق هي الأمن، وبالتالي، بالرغم من أهمية التحرك على الجبهة السياسية، لن ينفعنا أي إجراء نتخذه إذا لم نحلّ المعضلة الأمنية.

استمع الرئيس بعناية فائقة للخيارات العسكرية والسياسية المطروحة أمامنا بشأن العراق. لم يعلن التزاماً بشيء. لكنه أنهى الاجتماع ببيان فيه الكثير من العزم والصرامة، "إننا سوف ننجح في العراق بالرغم من الأوقات الصعبة التي نمر بها. يجب أن لا يساور أحداً شك بذلك. سوف نقوم بالشيء الصحيح، بغض النظر عما تقوله الجرائد أو خصومنا السياسيون. إن النجاح في العراق سوف يغيّر العالم. يجب أن يكون الشعب الأمريكي واثقاً من النتائج. يمكن أن لا ننجح خلال وقت الانتخابات. وليكن ذلك."

كان ذلك هو كل الإرشاد الذي أحتاج إليه.

أثناء خروجنا من قاعة الاجتماع، أخذني الرئيس جانباً، وسألني إن كان بالإمكان الاجتماع معاً. ما هو برنامجي؟

كنتُ جاهزاً لفرصة من هذا النوع. ناظراً في جدول برنامجه اليومي، الذي يحتفظ به في جيبه، سألني إن كان بالإمكان الاجتماع في الواحدة ظهراً. قلتُ بالتأكيد.

"اسمع،" قال، "ما رأيك أن تأتي في وقت الظهر، ويمكننا أن نتدرب معاً." لم أكن اصطحب معي الثياب المناسبة.

"سنقوم بتجهيزك،" قال. "تعال وزرني في المكتب البيضاوي عند الظهر."

وعوضاً عن تناول السَلَطة، كما فعلنا في أيار، دخلنا إلى غرفة التدريبات الرياضية في الطابق الثالث، حيث كنت أرتدي قميصاً رياضياً وحذاء للجري، استعرتهما من خزانة الرئيس.

كنت أعلم أن الرئيس، حين كان ما يزال يمارس الجري بشكل منتظم، قد أسس لما يُسمى نادي (كرافورد الدرجة ١٠٠)، يمنح قميص جري لكل من يجري معه في كرافورد حين تصل درجة الحرارة إلى المئة. كان مساعدي الخاص والمبدع برايان مكورماك قد حضّر قمصاناً أعطيت إحداها للرئيس. وقد كُتب عليها "نادي بغداد في الدرجة ١٢٠".

في هذا اليوم قرر الرئيس استخدام آلة الجري المتقطّع، واخترتُ آلة الدعس المتواصل. تشاركنا في الشكوى حول ركبَنا- كان هو أيضاً يعاني من مشكلة أربطة ممزقة. ولم يكن بمقدور أي منا الجري. وبما أننا لم نكن نُجري تدريبات قاسية، كان بمقدورنا تبادل الحديث أثناء التمرين. بعد جلسة دامت حوالي خمس وأربعين دقيقة، صعدنا إلى الطابق الثاني، من أجل بعض البرودة.

كان آندي قد أخبر الرئيس عن رغبتي بمغادرة العراق في موعد لا يتعدى شهر أيار. احترم قراري لكنه كان قلقاً بشأن وضع خطة ناجحة فيما بعد.

"أي نوع من الأشخاص تظّن أنه يجب أن يحل مكانك، يا جِري؟"

"لم أفكر بهذا كثيراً. أعتقد أنني كنت منهمكاً جداً بالعمل."

"ليس بالضرورة شخصاً مثلك،" قال. "هل يمكن لرجل أعمال أن يقوم بذلك؟"

"لا أظنّ ذلك،" أجبتُ. "إن ما تحتاجون إليه شخص يتحلى بمهارات سياسية معتبرة، ويمتلك خبرة ميدانية، بالرغم من أن هذا الشرط الأخير ليس ملزماً. ربما يجب البحث عن شخص من وزارة الخارجية."

ابتسم بوش.

"لا تنس أنني كنتُ موظفاً في سلك الخارجية. يمكنك البحث عن أناس متقاعدين."

وتحدث عن فريق سياسته الخارجية. "إن جورج تينيت تحت ضغط كبير، لكنني سوف أبقى ملتزماً به،" قال الرئيس. "إني أحبه. في الحقيقة، سوف أبقي على فريق السياسة الخارجية حتى نهاية فترتي الرئاسية.

ما إن بردت أجسادنا في مكتبة الطابق العلوي وتناولنا بعض السندويش، سألني الرئيس عن علاقتي برامسفيلد. "كيف تقيم العمل معه؟ هل حقاً يقوم بعمله بطريقة مجهرية؟"

"إني أحب دون، سيدي الرئيس،" قلتُ. "لقد عرفته منذ ثلاثين عاماً، وأنا معجب به، وأعتبره يتمتع بذكاء كبير. لكنه لا يقوم بعمله بطريقة مجهرية."

بدا هذا وكأنه يفاجئ الرئيس.

"إنّ دون رامسفيلد يرعب موظفيه المدنيين، ولذلك فإنني غير قادر على الحصول على قرارات من أي منهم، باستثنائه هو. قد يكون هذا جيداً، ولكنها ليست الطريقة المثالية." قلتُ.

وفيما كان بوش يتأمل بما قلت، وجدتها فرصة لتذكيره بلعبة الأرقام المتداولة.

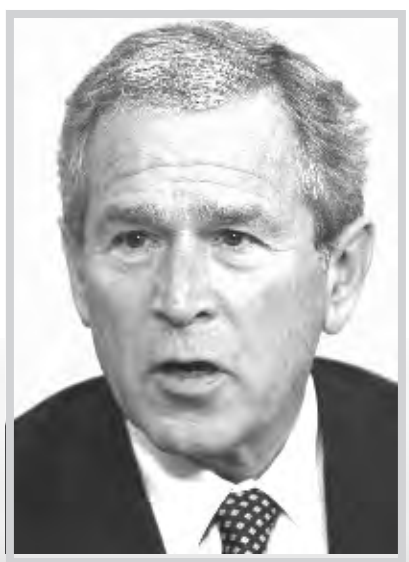

جورج بوش

كولن باول

يتبع